صورٌ من الوفاءِ في سيرة خاتم الأنبياء ﷺ

(دراسة دعوية)

Pictures of loyalty in the biography of the seal of the prophets

(prayer study)

م. م. أُسامة عبد المنعم شاكر

a.manhm85@gmail.com

دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

M. M. Osama Abdel Moneim Shaker

Department of Religious Education and Islamic Studies

الملخص

هذا بحث رفيع وشريف وذلك لأنه متعلق بجناب المصطفىﷺ، والشيء يشرف بشرف متعلقه، ذكرت فيه تعريف الوفاء وفضله، ثم سطرت صورا من أجمل الصور في وفائه ﷺ مع زوجته خديجة رضي الله عنها أولا، ثم وفائه مع الأعداء ثانيا، وثلثت بوفائه ﷺ مع الذين آووه ونصروه، واستخرجت من هذه الصور الجميلة فوائد تتعلق بأمر الدعوة والداعية، راجيا من الله القبول، ولمن قرأه النفع والفائدة، والحمد الله رب العالمين.

Abstract

This is a lofty and honorable research، because it is related to the honor of the Chosen One، peace be upon him، and the thing is honored with the honor of its connection، in which I mentioned the definition of loyalty and its virtue، then I wrote pictures of the most beautiful pictures of his loyalty، peace be upon him، with his wife Khadija، may God be pleased with her first، then his loyalty with the enemies second، and I thirdly with his loyalty، may God bless him and grant him peace، with those Oh، and help him، and extracted from these beautiful pictures benefits related to the matter of the call and the preacher، hoping from God for acceptance، and for those who read it benefit and benefit، and praise be to God، Lord of the worlds.

الكلمات المفتاحية: الوفاء ، سيرة ، خاتم الأنبياء

fulfillment، biography، seal of the prophets

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين الذي كان من خلقه الوفاء في كل حين، وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين، وبعد:

فالوفاء صفة أساسية في بناء صرح الإسلام، وقاعدته التي تقوم عليها حياة الأفراد، فإذا فقدت الأمة الأمانة ، وضعفت الثقة بين الناس وتهاوت العلاقات، وفقدت الأمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصدق، نزل بها العقاب الإلهي الذي هو سنة الله في أرضه، فالله يريد من المؤمنين أن يكونوا أوفياء، كما أراد منهم أن يكونوا أقوياء أعزاء، وان الله قد بين الطريق إلى ذلك كله.

ولما كاد خلق الوفاء يكون منسيًا في واقعنا المعاصر، وما يشهده واقع المسلمين من نقض للعهود والمواثيق في كثير من المجالات والميادين، سواء مع الله أو مع النفس أو مع الآخرين، عرض عليّ أحد مدرسي ثانويتنا الإسلامية أن أكتب في هذا المجال، وأشار عليّ في أن أختار نماذج من وفاء المصطفى ﷺ ودارستها دعويًا، فأجبته الى ما أراد، وذلك لما لهذا الموضوع من فائدة تعود على المجتمع المسلم عامة، والداعي الى الله خاصة.

ولقد كان منهجي في هذا البحث المتواضع أن أذكر حديثًا أو حديثين أو ثلاثة مما يتعلق بالباب، ثم أعقب ذلك بالكلام عليه من الناحية الدعوية، معرضًا في الغالب عن نقل شرح الحديث إلا ما يتعلق ببعض الالفاظ الغريبة فأزيل إشكالها في الهامش.

وقد كانت خطتي في هذا البحث بعد هذه المقدمة كالآتي:

تمهيد: عرفت فيه الوفاء لغة واصطلاحا.

المطلب الاول: فضل الوفاء وذم تاركه في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: وفاؤه ﷺ لزوجاته(السيدة خديجة أنموذجًا).

المطلب الثالث: وفاؤه ﷺ مع الأعداء.

المطلب الرابع: وفاؤه ﷺ مع الأنصار.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج.

ولقد واجهتني في كتابتي لهذا البحث بسبب قلة المصادر، بعض الصعوبات لكنها ذُللت بفضل الله وتوفيقه لي.

هذا جهدي المتواضع سطرته في هذه الورقات اليسيرة، فما كان من خير فمن الله، وما كان غير ذلك فمن نفسي واستغفر الله وأتوب اليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد
تعريف الوفاء لغة واصطلاحًا

أولًا: الوفاء لغة: ضد الغدر يقال وفى بعهده وفاء وأوفى بمعنى، ووافاه حقه ووفاه توفية بمعنى أي: أعطاه وافيًا، وتوفاه الله أي قبض روحه، والوفاة الموت، ووافى فلان أتى[١].

ثانيًا: الوفاء اصطلاحًا: «ملازمة طريق المساواة ومحافظة العهود وحفظ مراسم المحبة والمخالطة سرا وعلانية حضورا وغيبة»[٢].

وعرفه الامام الغزالي(ت٥٠٥هـ) بأنه: «الثَّبَاتُ عَلَى الْحُبِّ وَإِدَامَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ مَعَهُ وَبَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَصْدِقَائِهِ»[٣].

وقيل الوفاء : «هو القيام بمقتضى العهد»[٤].

وعند النظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي للوفاء يتبين: بأنه يوجد بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تداخل وارتباط في معنى الوفاء ؛ لذا فالوفاء يعني: الالتزام والإتمام في المحافظة على العهود والمواثيق بجميع أنواعها وكافة مجالاتها، والثبات عليها لنيل الأجر والثواب من الله تعالى[٥].

(١) ينظر: مختار الصحاح: (مادة وفى): (٣٠٤).
(٢) دستور العلماء: ٣/ ٣١٧ ؛ وينظر: التعريفات: (٣٢٧).
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي: (٢/ ١٨٧).
(٤) الكليات لأبي البقاء الكفومي: (٩٤٨).
(٥) ينظر: الوفاء في القرآن الكريم لوفاء حيدر: (٥).

المطلب الأول
فضل الوفاء وذم تاركه في الكتاب والسنة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الإسراء: ٣٤. في الآية حث على الوفاء بالعهد، لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة، سواء في ذلك عهد الله وعهد الناس، عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة، ولقد بلغ الإسلام في واقعه التاريخي الغاية القصوى في الوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام(١).

ولقد وصف الله في كتابه الذين يوفون بالعهد بأحسن الصفات قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ آل عمران: ٧٦

كما أن نقض الميثاق يؤدي إلى سوء السلوك والأخلاق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣ .

ولقد حثت السنة النبوية على هذا الخلق من خلال وصف أصحاب الوفاء بالخيرية عند الله فقال ﷺ في فضل هذا الخلق العظيم:

(خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ الْمُوفُونَ الْمُطِيبُونَ)(٢).

فالظاهر من لفظ الحديث أنه ﷺ أراد مدح من سار على منهج الوفاء بالعهود، من الذين غمسوا أيديهم في الطيب وتحالفوا عليه قبل الاسلام(٣)، وكذلك أراد حث أمته على هذا الخلق العظيم من خلال مدح كل من تخلق بهذا الخلق الرفيع(٤).

وقال ﷺ (من كان بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَشُدُّ عُقْدَةً ولا يَحُلُّهَا حتى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أو يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ على

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٣/ ٢٤)؛ وفي ظلال القران: (٤/ ٢٢٢٦).
(٢) رواه الامام أحمد في مسنده: حديث السيدة عائشة: (٦/ ٢٦٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار وإسناد أحمد صحيح :(٤/ ١٦٤).
(٣) وذلك أن بني هاشم وزهرة وتميم اجتمعوا في الجاهلية في دار ابن جدعان وغمسوا أيديهم في الطيب وتعاهدوا وتعاقدوا على إغاثة الملهوف ونصر المظلوم وحضر ذلك معهم المصطفى ﷺ وهو حين ذاك طفلاً فوفوا بما عاهدوا الله عليه، والظاهر كما قال أهل الحديث أنهم أدركوا البعثة وأسلموا. ينظر: فيض القدير: (٢/ ٤٩٩).
(٤) ينظر: فيض القدير: (٢/ ٤٩٩).

سَوَاءٍ)[1]، وقال ﷺ مبيناً عقوبة من ترك الوفاء:

(أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كانت فيه خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَلَّةٌ من نِفَاقٍ حتى يَدَعَهَا إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ)[2]، فعُد عدم الوفاء من صفات المنافقين.

المطلب الثاني
وفاؤه ﷺ لزوجاته (السيدة خديجة أنموذجًا)

وسأذكر فيه حديثين :

الحديث الأول: أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا أتي بشيء يقول: (اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت تحب خديجة)[3].

الحديث الثاني: عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ إذا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عليها فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قالت فَغِرْتُ يَوْماً فقلت ما أَكْثَرَ ما تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ[4] قد أَبْدَلَكَ الله عز وجل بها خَيْراً منها قال ﷺ (ما أبدلني الله عز وجل خَيْراً منها قد آمَنَتْ بي إِذْ كَفَرَ بي الناس وصدقتني إِذْ كذبني الناس وواستني بما لها إذا حرمني الناس ورزقني الله عز وجل وَلَدَهَا إِذْ حرمني أَوْلاَدَ النِّسَاءِ)[5]. وفي رواية ابن حبان[6]: (فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ ﷺ تَمَعُّرًا مَا كُنْتُ أَرَاهُ مِنْهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ)

الفوائد الدعوية:

١. من صفات الداعية: الغضب والدفاع عن أهل الفضل واخوانه الدعاة
٢. دور المرأة المسلمة في الدعوة الاسلامية

---

(١) رواه ابو داود في سننه: باب: في الإمام يكون بينه، وبين العدو عهد فيسير إليه ، (٣/ ٨٣)، رقم الحديث:(٢٧٥٩)، والامام أحمد في مسنده: مسند الكوفيين،(٤/ ٣٨٥)، رقم الحديث:(١٩٤٥٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الايمان، باب علامة المنافق، (١/ ١٦)، رقم الحديث:(٣٤)،و مسلم : كتاب: الايمان، باب بيان خصال المنافق،(١/ ٧٨)، رقم الحديث:(١٠٦).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب: البر والصلة، (٤/ ١٩٣)، رقم الحديث: (٧٣٣٩) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٤) «المراد بالشدقين: ما في باطن الفم فكنت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لا يبقى داخل فمها الا اللحم الأحمر من اللثة وغيره» فتح الباري: (٧/ ١٤٠).

(٥) رواه الامام أحمد في مسنده، حديث السيدة عائشة، (٦/ ١١٧)، رقم الحديث: (٢٤٩٠٨). قال الهيثمي: (اسناده حسن) . مجمع الزوائد: (٩/ ٢٢٤).

(٦) ذِكْرُ تَعَاهُدِ الْمُصْطَفَى ﷺ أَصْدِقَاءَ خَدِيجَةَ بِالْبِرِّ بَعْدَ وَفَاتِهَا،(١٥/ ٤٦٧)، رقم الحديث: (٧٠٠٧).

٣. جهود السيدة خديجة في قيام الدعوة الاسلامية

أولا: من صفات الداعية: الغضب والدفاع عن أهل الفضل واخوانه الدعاة.

دل قوله ﷺ (ما ابدلني خيرا ..) الحديث، وتمعر وجههﷺ على أن على المسلم وخاصة الداعي الى الله أن يدافع عن أهل الفضل والتقدم في حال غيبتهم أو موتهم، فالمسلم يُحفظ له حقه في حال حضوره وغيبته، وفي حال حياته وموته، لأن الحفاظ على ذلك ليس مبعثه محاسبة صاحب الحق فحسب، وإنما مبعثه رقابة الله – عز وجل – في حقوق المسلمين أولاً، ثم الوفاء لأصحاب المواقف العالية في بذل النفس والمال من أجل إعلاء كلمة الله – تعالى –ونصرة المسلمين(١).

كما يدل أيضا على أن الغضب يكون محمودًا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ أو انتكهت حرمات المسلمين، بشرط امتلاك النفس بحيث يكون تصرف المسلم بالحكمة، أما عدم الغضب والحالة هذه فإنه دليل على ضعف الإيمان، وعلى قدر الإيمان يكون التأثر والغضب فيما يتعلق بأمور الدين، بخلاف أمور الدنيا فإن الأمر يكون بضد ذلك(٢).

ثانيا: دور المرأة المسلمة في الدعوة الاسلامية

دلت هذه الأحاديث على الدور الكبير الذي قدمته السيدة خديجة للنبيﷺ والدعوة الاسلامية مما جعل النبي يدافع عنها كل هذا الدفاع، وهذا يبين لنا مدى أهمية دور المرأة في الدعوة فجدير بالمرأة المسلمة العناية به والحرص عليه، إذ أن المرأة أدرى وأعرف بنفسيات النساء من الرجال، ومن ثَمَّ تستطيع الوصول إليهم بسهولة ويسر، ويكون عادة تأثيرها أنفع من تأثير الرجل إذا استخدمت الوسائل المعينة على ذلك(٣).

ثم إن دور المرأة الداعية لا يقتصر على إلقاء الكلمات وإنكار المنكر في المناسبات العامة فقط، بل بإمكانها القيام بالعمل الدعوي تجاه قريباتها وصويحباتها وجيرانها قدر المستطاع، فلا تقتصر على صنف دون آخر وإن كان للقريبات حق أعظم بسبب القرابة، ولتكن الدعوة مستمرة في المدرسة والمناسبة والسوق والمستشفى وغير ذلك كلما دعت الحاجة لذلك، وتستخدم في كل حالة الأسلوب الذي تراه مناسباً(٤).

ثالثا: جهود السيدة خديجة في قيام الدعوة الاسلامية

دلت هذه الأحاديث على مدى حب ووفاء النبيﷺ للسيدة خديجة –رضي الله عنها– وهذا أمر طبيعي

(١) ينظر: المفصل في فقه الدعوة الى الله: (١٤/ ٨٨).
(٢) ينظر: فقه الدعوة في صحيح البخاري: (٢/ ٩٤٧)، والمصدر نفسه.
(٣) ينظر: المفصل في فقه الدعوة: (٥/ ٣٠)، ودليل الداعية: (ص١٩٣).
(٤) ينظر: المفصل في فقه الدعوة: (٥/ ٣٠).

فهي بحق تستحق كل خير وثناء ووفاء، كيف لا وهي التي قدمت ما قدمت من أجل هذا الدين الحنيف، فلا يخفى على أحد الجهود الدعوية التي قدمتها السيدة خديجة رضي الله عنها، فقد بذلت كل ما تملك من التضحية والتفاني في خدمة الدعوة الاسلامية، وكانت مثلا أعلى لكل النساء اللواتي يتحملن نصيبًا كبيرًا في نشر الدعوة الإسلامية، ويقع على عاتقهن تربية الجيل الداعي إلى دين الله العظيم[1]، والجهود الدعوية التي قدمتها السيدة الطاهرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كثيرة في خدمة هذا الدين العظيم ونصرة دعوة نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والسلام منها:

١. تثبيت النبي ﷺ عند نزول الوحي

إنَّ الساعات الشديدة التي عاشها النبي ﷺ لحظة نزول الوحي عليه لأول مرة وهو في غار حراء، وارتعاده من هول ما رأى، ودخوله على السيدة خديجة وهو يرتجف قائلاً زملوني زملوني، كل هذه الأمور جسدت لنا دور السيدة خديجة في هذا الموقف الرهيب فقد كانت رضي الله عنها خير أنيس وخير جليس حيث قللت من روعه وطمأنته بقولها:(كَلاَّ والله ما يُخْزِيكَ الله أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نَوَائِبِ[2] الْحَقِّ)[3].

ولم تكتف السيدة خديجة بذلك بل تصرفت تصرفا لا يقوم به إلا العقلاء حيث انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ليزداد يقينا وطمأنينة بأنه على حق فَأَخْبَرَهُ رسول اللَّهِ ﷺ خَبَرَ ما رَأَى فقال له وَرَقَةُ هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ الله على مُوسَى.. الحديث[4].

٢. بذل مالها في سبيل الدعوة الإسلامية.

كما هو معلوم أن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت تاجرة وتجارتها رابحة، وصاحبة مال كثير، كما كانت رضي الله عنها قمة في السخاء والكرم والبذل والعطاء، وهذه صفات يحبها الله ورسولهﷺ وقد ضربت رضي الله عنها أروع الأمثلة في بذل مالها في سبيل نصرة الدعوة الإسلامية، فلم تبخل عن تقديم المساعدات للمسلمين، بل كانت رضي الله عنها الممول الأساس للدعوة الإسلامية، وتقدم الدعم المادي

(١) ينظر: الجوانب الدعوية والتربوية في سيرة السيدة خديجة: (١٤).

(٢) ومعنى:(تكسب المعدوم) تعطيه المال وتملكه إياه ، يقال : كسبت للرجل مالًا وأكسبته ، قوله:(وتحمل الكل) ، بفتح الكاف وتشديد اللام : وهو ما يثقل حمله من القيام بالعيال ونحوه = =مما لا يقوم بأمر نفسه، قوله:(على نوائب الحق) ، جمع نائبة ومعناه : تعين بما تقدر عليه من أصابته نوائب، أي : ما ينزل به من المهمات والحوادث. عمدة القاري: (١٧/ ٤٣-٤٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب: الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ٤)، رقم الحديث: (٣).

(٤) ينظر: المصدر نفسه، والسيرة الحلبية: (١/ ٣٤٧).

للنبي عليه أفضل الصلاة وخير مثال على ذلك موقفها أثناء الحصار الذي ضرب على المسلمين في شعب أبي طالب لثلاث سنوات، ففي هذا الحصار كانت السيدة خديجة أنموذجًا فريدًا في الوقوف إلى جوار زوجها عليه الصلاة والسلام في أحلك أوقات المحنة، وأعظم أيام الشدة، إذ دخلت معه الشعب لتواصل ما بدأته معه في الدعوة، تشد من أزره، وتشاركه تحمل الأذى، وتنصر دينه العظيم، وليس هذا فحسب، بل سخرت رضي الله عنها كل مالها في خدمة المسلمين، فكانت خير عون لهم في هذه الأزمة، ولم تقف رضي الله عنها عند هذا الحد بل تراها تستعين بأهلها ليشتروا لها الطعام ويرسلونه سرًا إلى الشعب، وكان أهلها وعشيرتها نبلاء وأوفياء لها، فلطالما كانت رضي الله عنها قبل هذه المحنة كريمة معهم، تصلهم ببرها، وتمد كل محتاج منهم بمعونتها، فبادلوها عند شدتها وفاء بوفاء، وحبًا بحب، فأرسلوا لها ما استطاعوا أن يرسلوه من الطعام؛ لتنفقه أم المؤمنين في سبيل الله للرسول ﷺ والمسلمين فتنقذهم من الهلاك[1] .

٣. نصرة النبي ﷺ ومساندته في الدعوة

السيدة خديجة رضي الله عنها كانت خير نصير للنبي ﷺ في دعوته، وأصدق وزير، تحملت رضي الله عنها عبء الدعوة معه ﷺ في خطواتها الأولى الصعبة، وعاصرت فترة الصدع بالأمر، والصراع الضاري بين قوى الحق، ومخالب الباطل، وسعيها الدؤوب في مساندته ومؤازرته ﷺ وامتثالها ذلك على أتم وأكمل وجه، فكانت رضي الله عنها أول النساء إسلامًا، قال ابن هشام(ت٢١٣هـ): « وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئًا مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى»[2].

ويقول ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) في حق السيدة خديجة: « وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ سَبْقُهَا نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الْإِيمَانِ فَسَنَّتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدَهَا فَيَكُونُ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِنَّ لِمَا ثَبَتَ أَنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الثَّوَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[3]

(١) ينظر: سيرة ابن هشام : (١/ ١٨٨)، والجوانب الدعوية والتربوية في سيرة السيدة خديجة: (١٧).
(٢) سيرة ابن هشام: (٢/ ٧٧).
(٣) فتح الباري: (٧/ ١٣٧).

المطلب الثالث
وفاؤه ﷺ مع الأعداء

فقد جاءت الآثار معنونةً لوفائه ﷺ حتى مع الأعداء كما في الأحاديث الشريفة، وسأذكر في ذلك حديثين:

الحديث الأول: عن حُذَيْفَةُ بن الْيَمَانِ ﷺ قال : ما مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إلا أَنِّي خَرَجْتُ أنا وَأَبِي حُسَيْلٌ قال فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قالوا إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا ما نُرِيدُهُ ما نُرِيدُ إلا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إلى الْمَدِينَةِ ولا نُقَاتِلُ معه فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فقال: (انْصَرِفَا نَفِي لهم بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عليهم)[1].

الحديث الثاني: عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما قال صَالَحَ النبي ﷺ الْمُشْرِكِينَ يوم الْحُدَيْبِيَةِ على ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ على أَنَّ من أَتَاهُ من الْمُشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ وَمَنْ أَتَاهُمْ من الْمُسْلِمِينَ لم يَرُدُّوهُ وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا من قَابِلٍ وَيُقِيمَ بها ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ولا يَدْخُلَهَا إلا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ السَّيْفِ وَالْقَوْسِ وَنَحْوِهِ فَجَاءَ أبو جَنْدَلٍ يَحْجُلُ في قُيُودِهِ فَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ[2].

الفوائد الدعوية:

١. من أحكام الدعوة الاسلامية جواز الكذب عند الاضطرار والاصلاح.
٢. من صفات الداعية: الوفاء بالعهود حتى مع غير المسلمين
٣. من صفات الداعية: الحكمة في الدعوة مع الاستمساك بالنهج الصحيح

أولا: من أحكام الدعوة الاسلامية جواز الكذب عند الاضطرار والاصلاح

يستفاد من هذا الحديث في قولهم: (فَقُلْنَا ما نُرِيدُهُ ما نُرِيدُ إلا الْمَدِينَةَ) أنه يجوز للمسلم وخاصة الداعي الى الله سواء المقيم في الدول المسلمة وغير المسلمة، عند تعرضه للمضايقات والعقبات التي يتعرض لها من أعداء الاسلام، الكذب والتورية وأن يبين لهم خلاف ما يريده، وكذلك يحق له الكذب عند إصلاحه بين الناس[3]، فقد ذكر الامام النووي رحمه الله : أَنَّ «الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَىَ المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ

(١) رواه مسلم في صحيحه،: كتاب الجهاد والسير، باب: الوفاء بالعهد ،(٣/ ١٤١٤)، رقم الحديث: (١٧٧٨).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الصلح، باب: الصلح مع المشركين، (٢/ ٩٦١)، رقم الحديث: (٢٥٥٣).
(٣) ينظر: شرح الامام النووي على صحيح مسلم: (١٢/ ١٤٤).

يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإِنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إِلاَّ بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ... فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفى مالَه وَسُئِلَ إِنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الكَذِبُ بإِخْفَائِه، وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالمٌ أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها»[1].

واستدلوا بحديث النبيﷺ عن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ -وَكَانَتْ من الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ اللاَّتِي بَايَعْنَ النبي ﷺ - أنها سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو يقول:(ليس الْكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين الناس وَيَقُولُ خَيْرًا وينمى خَيْرًا)[2].

ثانيا: من صفات الداعية: الوفاء بالعهود حتى مع غير المسلمين

يستفاد من الحديث في قول النبي ﷺ: (انْصَرِفَا نَفِي لهم بِعَهْدِهِمْ) أن الوفاء بالعهود من صفات المسلم الحقيقي الداعي الى الله، حتى ولو كان مع أعداء الله فالنبيﷺ أمرهما بالوفاء بالعهد وإن كان لا يجب الوفاء بترك الجهاد مع الامام أو نائبة ليعلم أصحابه هذا الخلق الرفيع، وحتى لا يشيع بين أصحابه نقض العهد[3].

فالوفاء حتى مع الكفار كان من هديه ﷺ فعن الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ بن أبي رَافِعٍ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أخبره قال بَعَثَنِي قُرَيْشٌ إلى رسول اللَّهِ ﷺ فلما رأيت رَسُولَ اللَّهِﷺ أُلْقِيَ في قَلْبِي الْإِسْلَامُ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ إني والله لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا فقال رسول اللَّهِ ﷺ (إني لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ ولا أَحْبِسُ الْبُرُدَ[4] وَلَكِنْ ارْجِعْ فَإِنْ كان في نَفْسِكَ الذي في نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ) قال فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النبي ﷺ فَأَسْلَمْتُ[5].

فغير المسلمين وإن كان الواجب علينا البراء منهم ببغضهم -دينًا- ، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، أو التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعًا وجهادهم، لكن هناك تعاملات على الداعية التخلق بها مع الكفار مثل عدم نقض العهد والامانة وعدم الغش، كما أن هناك أخلاق وآداب ينبغي للداعية التخلق

(١) شرح رياض الصالحين: (٤٣٤).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، (٢/ ٩٥٨)، رقم الحديث: (٢٦٩٢)، ومسلم واللفظ له : كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، (٤/ ٢٠١١)، رقم الحديث: (٢٦٠٥).
(٣) ينظر: شرح الامام النووي على صحيح مسلم: (١٢/ ١٤٤)
(٤) قوله: «(لا أخيس) بكسر الخاء المعجمة بعدها تحتية أي لا أنقض العهد من خاس الشيء في الوعاء إذا فسد (ولا أحبس) بالحاء المهملة والموحدة (البرد) بضمتين وقيل بسكون الراء جمع بريد وهو الرسول» عون المعبود شرح سنن أبي داود: (٧/ ٣١١).
(٥) رواه ابو داود في سننه، بَاب: فِي الْإِمَامِ يُسْتَجَنُّ بِهِ فِي الْعُهُودِ، (٣/ ٨٢)، رقم الحديث: (٢٧٥٨). والامام أحمد في مسنده : حديث ابي رافع ﷺ ، (٦/ ٨): رقم الحديث: (٢٣٩٠٨) قال الشيخ شعيب : (حديث صحيح).

بها[1] وهي:

١. لين الجانب في الدعوة إلى الله تعالى، وحسن القول. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥.

٢. الإهداء له، وقبول هداياه، وخاصة اذا كان يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الاسلام [2] فعن عبد اللَّه بن عَمْرٍو ﷺ أَنَّهُ ذَبَحَ شَاةً فقال أَهْدَيْتُمْ لِجَارِي الْيَهُودِيِّ فَإِنِّي سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول:(ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[3] أمَّا قبول النبي ﷺ للهدايا فقد قبل هدية المقوقس[4] وغيره من الكفار.

لكن يستثنى من ذلك عدم قبول هداياهم وقت أعيادهم، وبالأخص اللحوم، أو الإهداء له؛ لأن في ذلك إقرارًا لباطله وشهادة زور[5].

فقد كره جُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ[6] «إمَّا كَرَاهَةَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةَ تَنْزِيهٍ - أَكْلَ مَا ذَبَحُوهُ لِأَعْيَادِهِمْ وَقَرَابِينِهِمْ إدْخَالاً لَهُ فِيمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَكَذَلِكَ نُهُوا عَنْ مُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى أَعْيَادِهِمْ بِإِهْدَاءٍ أَوْ مُبَايَعَةٍ وَقَالُوا: إنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبِيعُوا لِلنَّصَارَى شَيْئًا مِنْ مَصْلَحَةِ عِيدِهِمْ لَا لَحْمًا وَلَا دَمًا وَلَا ثَوْبًا وَلَا يُعَارُونَ دَابَّةً وَلَا يَعَاوَنُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِ شِرْكِهِمْ وَعَوْنِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَنْبَغِي لِلسَّلَاطِينِ أَنْ يَنْهَوْا الْمُسْلِمِينَ عَنْ ذَلِكَ»[7].

٣. العدل وعدم ظلمه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٨.

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق لخالد بن جمعة: (٤٥٧-٤٦٠).
(٢) ينظر: تحفة الأحوذي: (٥/ ١٦٧).
(٣) أخرجه ابو داود في سننه واللفظ له، باب في حق الجوار ، (٤/ ٣٣٤)، رقم الحديث:(٥١٥٢)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في الخيانة والغش،(٤/ ٣٣٢)، رقم الحديث: (١٩٤٢)، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).
(٤) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: (٤/ ١٢).
(٥) ينظر: موسوعة الأخلاق: (٤٦٠)، كما منع بعض العلماء قبول هدايا من يريد بهديته التودد والموالاة والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الاسلام، وبعضهم: جوز هدايا أهل الكتاب ومنع قبول هدايا غيرهم من الكفار. ينظر: تحفة الأحوذي: (٥/ ١٦٦).
(٦) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته: (٤/ ٢٧٦١).
(٧) مجموع الفتاوى: (٢٥/ ٣٣٢).

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾الممتحنة: ٨.

ففي الآيتين الكريمتين دلالة واضحة على إقامة العدل حتى مع الأعداء بشرط عدم المحاربة.

٤. الرحمة به إن كان جائعًا، ويسقيه إن عطش، ويداويه إن مرض.

٥. عدم أذيته في ماله أو دمه أو عرضه إن كان غير محارب[١]

ثالثا: من صفات الداعية: الحكمة في الدعوة مع الاستمساك بالنهج الصحيح

يستفاد من الحديث الثاني الذي ذكر فيه صلح الحديبية وما تضمنه من شروط أن على الداعي الاستمساك بالنهج الصحيح مع الحكمة في الدعوة الى الله، وذلك لأن «الدعوة إلى الله تحتاج إلى جوٍّ هادئ خالٍ من المضايقات والعقبات في طريق الدعوة، وخالٍ من الاعتداءات على الداعي، ومنعها من التبليغ؛ لأنَّ الدعوة إلى الله كالبذر وكالبناء، والبذر لا ينبت في الأعاصير والرياح، والبناء لا يقوم في الهياج وانشغال البناة في مدافعة الأذى، والاعتداء عن أنفسهم، ولهذا نرى أنه لمَّا توفَّر للدعوة الإسلامية الجوَّ الهادئ بعد صلح الحديبية، دخل في الإسلام مثل مَن كان في الإسلام قبل ذلك الصلح أو أكثر[٢]»

فصلح الحديبية كما جاء في السير[٣] لم تتَّسِع له صدور كثير من المسلمين في بادئ الأمر بالرغم من وجود الصدق ورسوخ الإيمان، ولكن اتسع له صدر رسول الله ﷺ؛ لأن المسألة ليست مسألة استعداد للموت، والصدق في هذا الاستعداد، وإنَّما المسألة هي الثبات في السير على المنهج الصحيح، فهو وحده الموصِّل إلى المراد وبلوغ الغاية على الوجه المطلوب، ولهذا جاء الوحي من السماء بآيات واضحات واصفات هذا الصلح بالفتح، فعلى الداعي أن لا يتأثَّر بالعواطف والحماس لخدمة الإسلام عند تعين الوسيلة والأسلوب، إن الحماس والعاطفة والرغبة في العمل يجب أن يوجّه ذلك كله لتحقيق وتنفيذ الأسلوب الصحيح، والوسيلة الصحيحة بعد تقريرهما، لا أن يوجِّه ذلك للتشكيك في الأسلوب الصحيح، والتجديف بعيدًا عن الوسائل الصحيحة، والجدل العقيم[٤].

ومما ينبغي أن يتنبه له ونحن نتكلم عن الحكمة أن الحكمة في الدعوة لم تشرع من أجل تسهيل عمل الداعي أو من أجل تفادي الأحزان والمتاعب، بل السر في مشروعية الحكمة في الدعوة إنما هو أن يُسلَك أقرب

(١) ينظر موسوعة الأخلاق: (ص٤٦٣).
(٢) أصول الدعوة بتصرف يسير: (٤٦٠).
(٣) ينظر: سيرة ابن هشام: (٢/ ٣١٦-٣١٧).
(٤) ينظر: أصول الدعوة: (٤١٦-٤١٧).

الوسائل إلى عقول الناس وأفكارهم، وهذا يعني أنه إذا اختلفت الأحوال وقامت عثرات الصد والمعاندة دون سبيل الدعوة، فإن الحكمة حينئذ إنما هي إعداد العدة للجهاد والتضحية بالنفس والمال، وعلى هذا فالحكمة إنما هي أن تضع الشيء في مكانه وهذا هو الفرق بين الحكمة والمخادعة، وبين الحكمة والمسالمة[1].

المطلب الرابع
وفاؤه ﷺ مع الأنصار

فقد تجلى هذا الوفاء في سيرته – يوم أوصى بالأنصار خيرًا وفاء لوفائهم ونصرتهم له– وفيه حديثان :

الحديث الأول: عن أَنَسَ بن مَالِكٍ يقول: مَرَّ أبو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ من مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فقال ما يُبْكِيكُمْ قالوا ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النبي ﷺ مِنَّا فَدَخَلَ على النبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قال فَخَرَجَ النبي ﷺ وقد عَصَبَ على رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ قال فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ولم يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذلك الْيَوْمِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليه ثُمَّ قال (أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي[2] وقد قَضَوْا الذي عليهم وَبَقِيَ الذي لهم فَاقْبَلُوا من مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عن مُسِيئِهِمْ)[3].

الحديث الثاني: عن البراء بن عازب قال ﷺ :(الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُمْ إلا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله)[4].

من الفوائد الدعوية : فضل الأنصار ودورهم في قيام الدعوة الاسلامية

دل هذا الحديث الذي تجلت فيه أسمى صور الوفاء والذي قبله على فضل الأنصار، وأنهم من خواص النبيﷺ والمقربين لديه وذلك لما للأنصار من إسهامات فاعلة، ومشاركات مشهودة في حمل تعاليم الإسلام ونشرها في بقاع الأرض، فسطَّروا بمواقفهم مع رسول الله ﷺ ، ومشاهدهم، وسيرهم سطورًا من نور في التاريخ لا تزال شامخة على مرِّ العصور، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، عرفوا أنَّ مصدر قوتهم وعزتهم هو دينهم، والالتفاف حول نبيِّهم ﷺ، فخرجت أعظم أمة عسكرية حضارية عرفتها البشرية،

(١) ينظر: فقه السيرة للبوطي: (٨٤).
(٢) أي جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري. الديباج على مسلم: (٥/ ٤٧٠).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: مناقب الأنصار، بَاب: قَوْلُ النبي ﷺ اقْبَلُوا من مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عن مُسِيئِهِمْ، (٣/١٣٨٣)، رقم الحديث:(٣٥٨٨).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان، (٣/ ١٣، ٧٩)، رقم الحديث: (٣٥٧٢).

وحفظها التاريخ، وشهد بفضلها الأعداء[١].

وسأذكر أمرين من تلك المواقف المشرفة للأنصار:

الأمر الأول: دور الأنصار في نصرة النبي - في بيعة العقبة الأولى والثانية.

إن بيعة العقبة الأولى أول نُصْرَة للأنصار من الصحابة للنبي ﷺ، بعد أن ضاقت الأرض على النبي ﷺ بما رحبت، وتكالبت عليه الآلام والأحزان حتى عرف العام العاشر للبعثة بعام الحزن[٢]، ما تركت للنبي ﷺ من سبيل إلاّ أن يبحث عن قبائل أخرى سوى قريش يدعوهم إلى الله عز وجل، فقام بعرض نفسه في المواسم على القبائل القادمة إلى مكة يشرح لهم الإسلام ، ويطلب منهم الإيواء والنُّصرة سواء أكان في موسم الحج أم في غيره حتى تحقق ما كان يرجوه[٣]، عندما التقى باثنين وثلاثين من الخزرج أراد الله بهم الخير، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام، ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل[٤].

إن لقاء هؤلاء النفر من الأنصار مع رسول الله ﷺ على غير موعد، لكنه لقاء هيأه الله سبحانه وتعالى ليكون نبع الخير المتجدد الموصول، ونقطة التحول الحاسم في التاريخ، وساعة الخلاص المحقق من عبادة الأحجار، بل إنها على التحقيق ساعة الحسم في مصير العالم كله ونقل الحياة من الظلمات إلى النور، ولم يكن الأنصار اسمًا لهم في الجاهلية حتى سماهم الله سبحانه وتعالى به في الإسلام وهم بنو الأوس والخزرج[٥] وقال الله تعالى في ذكرهم ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة ١٠٠.

وانتشر الإسلام خلال تلك السّنة في المدينة، ولما كان العام الذي يليه، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول اللهﷺ على بيعة النساء[٦]، ولما أرادوا الانصراف

(١) ينظر: دور الأنصار في نصرة النبي المختارﷺ وصحبه الأبرار: (ص٢ وما بعدها).
(٢) ذلك العام الذي توفيت فيه أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كانت خير عون له طيلة حياتها معهﷺ، وكذلك فيه وفاة عمه أبي طالب الذي تحمل الكثير من أجل نصرة الرسولﷺ ولم يتوانَ لحظة في الدفاع عنه، وشدة الإيذاء من قريش وغيرها. ينظر: السيرة الحلبية: (٢/ ٤١).
(٣) ينظر: سيرة ابن هشام: (١/ ٤٢٢-٤٢٣)، وفقه السيرة للبوطي: (١١٥).
(٤) ينظر: سيرة ابن هشام: (١/ ٤٢٨-٤٢٩).
(٥) ينظر: السيرة النبوية للصلابي: (٤١٥)، ودور الأنصار في نصرة النبي لطه عفان: (٦).
(٦) أي على نمطها في البنود التي بايع النساء عليها، أي إنه لم يبايعهم فيها على الحرب والجهاد، وكانت بيعة النساء ثاني

بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى مقرئ المدينة، ثم إن مصعب بن عمير عاد إلى مكة في موسم العام التالي، ومعه جمع كبير من مسلمي المدينة، خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين، فاجتمع ﷺ معهم خفية، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)[1].

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: (نعم، والذي بعثك بالحق نبيًا لنمنّعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (أي السلاح كله) ورثناها كابرا عن كابر[2].

لقد كانت هذه اللحظات الحاسمة من أجمل اللحظات في حياة النبي ﷺ فلقد أدخلت السرور والبهجة على قلبه الشريف ﷺ، والتي تعتبر النصرة الحقيقية للأنصار حين بايعوا على الحرب والموت والقتال نصرة لدين الله والدعوة الاسلامية، ثم كل هذه النصرة والمؤازرة من الأنصار قابلها حبيب الله ورسوله بخلق الوفاء وأنه ﷺ لا يترك من وقف معه ونصره يتضح ذلك جليا في هذه المحاورة التي يرويها أهل السير وهو أن أبي الهيثم بن التيّهان اعترض القول- والبراء يتكلم- فقال: «يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالًا وإنا قاطعوها- يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» فتبسّم رسول الله ﷺثم قال: (بل الدّم الدّم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم)[3] .

الامر الثاني: دور الأنصار في إيواء رسول الله ﷺ وصحبه الأبرار رضي الله عنهم

الهجرة إلى المدينة لم تكن حادثة عرضية دون أن يسبقها تخطيط وإعداد من قبل النبيﷺ، ولم تكن هجرة نزهة أو رحلة يُرَوِح فيها الإنسان عن نفسه، ولكنها مغادرة الأهل، والمال والوطن، وأسباب الرزق، والتخلي عن كل ذلك من أجل العقيدة، ولأنه عدمت إمكانية المعايشة مع الكفر، فلم تكن الهجرة من أجل التخلص من الفتنة والاستهزاء فقط، بل كانت تعاونًا عامًا على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن، لذلك كان نجاح النبيﷺ في تأسيس وطن له ، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أعظم كسب حصل عليه منذ أن بدأت الدعوة، وقد تنادى المسلمون من كل مكان هلموا إلى يثرب[4].

يوم الفتح على جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال)‖ فقه السير للبوطي: (١١٦).

(١) ينظر: سيرة ابن هشام: (١/ ٤٤٢).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام: (٤٤٢)، ودلائل النبوة للبيهقي: (٢/ ٤٤٧).

(٤) ينظر: فقه السيرة للغزالي: (١٦٥)، ودور الانصار في نصرة النبيﷺ المختار: (١٠).

ولقد ضرب الأنصار المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم، لا يملكون شيئًا، فقدم لهم الأنصار كل شيء، لقد ضربوا المثل الأعلى في الإيثار، عندما خرج المهاجرون من مكة لا يملكون شيئا كل واحد بما يلبسه فقط، وقد كانوا تجارًا أغنياء، لقد حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين، حتى لشدة حرص الأنصار وتزاحمهم على ضيافة المهاجرين ما نزل مهاجريّ على أنصاري إلا بقرعة، وقدّر المهاجرون هذا البذل الخالص فما استغلّوه، ولا نالوا منه إلا بقدر ما يتوجّهون إلى العمل الحر الشريف(١).

ولينظر المتأمل إلى الإيثار إلى أي درجة وصل عند الأنصار، فعن أَنَسٍ ﷺ قال قَدِمَ عبد الرحمن بن عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النبي ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بن الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وكان سَعْدٌ ذَا غِنًى فقال لِعَبْدِ الرحمن أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ قال بَارَكَ الله لك في أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي على السُّوقِ...)الحديث(٢).

ولنسمع لمثال آخر وقصة أخرى تجسد لنا روح المحبة والايثار لدى الأنصار يرويها لنا أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قال أتى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ فَأَرْسَلَ إلى نِسَائِهِ فلم يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شيئا فقال رسول اللَّهِ ﷺ ألا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هذه اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ الله فَقَامَ رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ فقال أنا يا رَسُولَ اللَّهِ فَذَهَبَ إلى أَهْلِهِ فقال لِامْرَأَتِهِ ضَيْفُ رسول اللَّهِ ﷺ لَا تَدَّخِرِيهِ شيئا قالت والله ما عِنْدِي إلا قُوتُ الصِّبْيَةِ قال فإذا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ على رسول اللَّهِ ﷺ فقال:(لقد عَجِبَ الله عز وجل أو ضَحِكَ من فُلَانٍ وَفُلَانَةَ فَأَنْزَلَ الله عز وجل ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كان بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩](٣) .

(١) ينظر: فقه السيرة للغزالي: (١٩٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: البيوع، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾، (٢/ ٧٢٢)، رقم الحديث:(٢٠٤٩).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الممتحنة، (٤/ ١٨٥٤)، رقم الحديث: (٤٦٠٧).

الخاتمة

وبعد الرحلة المباركة مع حبيب الحق ﷺ وسيد الخلق و إمام الأصفياء ومعلم البشرية الوفاء، ينتهي بنا المطاف أن نكتب أهم ما جاء في هذا البحث:

١. الوفاء خلق إسلامي محمدي، ينبغي لكل مسلم أن يجعله منهجًا له في حياته ومعاملاته مع الناس متأسيًا في ذلك نبي الرحمة محمدﷺ.

٢. من خلال دراسة الأحاديث يتضح لنا أن الحكمة والنظر الى عواقب الأمور هي القاعدة التي سار عليها النبيﷺ والتي ينبغي للأمة والدعاة خاصة السير عليها.

٣. من صفات الداعية المخلص في دعوته الدفاع عن الحق، وأصحاب الفضل واخوانه الدعاة

٤. من خلال سيرة السيدة خديجة وما قدمته من تضحيات لزوجهاﷺ وللدعوة الإسلامية، يتضح لنا جليا دور المرأة المسلمة وأهميته في الدعوة، وأن السيدة خديجة ينبغي أن تكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة لنساء المسلمين اليوم بدلا من اتخاذ الفنانات والأجنبيات قدوة لهنّ.

٥. الانصار كان لهم الفضل الكبير في نجاح الدعوة ونصرة المسلمين؛ فلذا استحقوا كل هذا المدح والثناء من رب العالمين ونبيه الكريمﷺ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* إحياء علوم الدين: للغزالي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.

* أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

* تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي: للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١، ١٤١٠.

* التعريفات: للجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت:٨١٦ه)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت / ١٤٠٥ه.

* دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق عرب عباراته الفارسية: حسن هاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

* دلائل النبوة: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

* دليل الداعية المؤلف: ناجي بن دايل السلطان، الناشر: دار طيبة الخضراء الطبعة: الأولى

* دور الأنصار في نصرة النبي المختار ﷺ وصحبه الابرار للدكتور طه عفان الحمداني ، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العلمية المحكمة، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م.

* الديباج على صحيح مسلم: للسيوطي أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت:٩١١ه)، تحقيق: أبو إسحاق الأثري، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.

* رياض الصالحين : للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ط: ١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

* سنن أبي داود: للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

* سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: للحلبي علي بن برهان الدين الحلبي(ت:١٠٤٤هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

* السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعاقري، أبي محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

* شرح النووي على صحيح مسلم: للإمام النووي أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، (ت:٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

* صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣،١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

* صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(ت:٢٦١هـ)، دار الجيل بيروت.

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام العيني محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* عون المعبود شرح سنن أبي داود: للآبادي محمد بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي(ت:١٣١٠هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

* الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، المؤلف: أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة ، دار الفكر - سوريَّة - دمشق.

* فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، المؤلف: محمّد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، ط: ٢٥ ، ١٤٢٦ هـ.

* فقه السيرة: محمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ)،دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، ١٤٢٧هـ.

* فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي محمد بن عبد الروؤف المناوي(ت:١٣٠٢هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للإمام الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت:٨٠٧هـ)، دار الفكر، لبنان- بيروت،(ب.ط)، ١٤١٢هـ.

* مجموع الفتاوى: لابن تيمية تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية/١٩٩٥م.

* مختار الصحاح: للرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت:٧٢١هـ)تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

* المستدرك على الصحيحين: للإمام الحاكم محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

* مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، مطبعة مؤسسة قرطبة-مصر، الأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ شعيب الأرنؤوط عليها.

* المعجم الكبير: للإمام الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط١٤٠٤،٢هـ- ١٩٨٣م.

* مَوْسُوعَةُ الأَخْلاَقِ: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

* الوفاء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير تقدمت بها وفاء حيدر شقورة، الجامعة الإسلامية/غزة/كلية أصول الدين/ قسم التفسير سنة: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.